محمد علي أبوريان *

تصنيف العلوم
بين الفارابي وابن خلدون

١ ـ مقدمة عامة : في اهمية تصنيف العلوم وصلته بالمنهج العلمي (١)

لقد شغل موضوع تصنيف العلوم الفلاسفة والباحثين في مجال العلم طوال عصور ازدهار العلم منذ عصر افلاطون الى يومنا هذا . والأمر الذي لاشك فيه ان اي تصور لتصنيفات العلوم انما يكشف عن فلسفة معينة لصاحب التصنيف، بحيث يصدر هذا التصنيف عن فكرة منهجية تظهر بوضوح من خلال تحديد الأصول والفروع في هذا التصنيف .

وثمة فكرة جديرة بالنظر وراء اهتمام العلماء بتصنيفات العلوم وهي التعرف على صلة العلوم وارتباطاتها فيما بينها ، الأمر الذي يسمح لفريق من العلماء المتخصصين في علوم ضيقة متقاربة المجال بأن يتناولوا بالدراسة وقائع اوظواهر واحدة ، وكل منهم يعالجها من زاوية تخصصه مع وجود نظرة تكاملية من ناحية ان مجال البحث انما يدور حول مشكلة واحدة ، او

---

* استاذ الفلسفة الاسلامية وعميد كلية الاداب بجامعة بيروت العربية .

(١) راجع للمؤلف ، الفلسفة ومباحثها (مبحث تصنيف العلوم) .

ظاهرة او واقعة بعينها . ولقد اظهر **اوجست كونت** فى تصنيفه للعلوم ، تدرج العلوم المعروفة فى عصره من حيث البساطة والتعقيد ، حتى انتهى تصنيفه الى علم الطبيعة الانسانية او علم الاجتماع ، فوجد أنه اكثر العلوم تعقيدا ، ومن ثم فهو يحتاج الى تضافر العلوم الأخرى السابقة عليه فى سلم التفاضل العلمى المتجه نحو التعقيد شيئا فشيئا .

لهذا كله اتضحت لنا اهمية دراسة تصنيف العلوم كحلقة من حلقات المنهج العلمى طلبا لمزيد من الوضوح فى مجال البحث . وغايتنا فى هذا الاستقصاء أن نلقى الضوء على موضوع تصنيف العلوم فى فترة من فترات الحضارة الاسلامية الزاهرة حتى مغيبها .

ولاشك ان بحثنا هذا لن يكون مجرد احصاء للعلوم مسجلا لأسمائها فحسب ، بل ينبغي أن يكون هذا التصنيف مؤشرا على سائر الأنشطة العلمية فى العصر الذى نبحث فيه . وبذلك يستطيع الباحث فى تاريخ العلوم عند العرب أن يجد مدخلا منطقيا ومنهجيا فى تناوله لهذه المادة فى سائر فروعها ، وذلك بمساعدة هذا العرض لتصنيف العلوم عند العرب فى تلك الفترة .

• • •

٢ ـ تصنيف العلوم بين القدماء والمسلمين

واذا كان هذا البحث يدور حول فترة معينة فى العصر الاسلامى ، الا اننا يجب ان نذكر أن موضوع تصنيف العلوم ، كما اشرنا ، قد عولج لأول مرة فى نطاق الفلسفة عند افلاطون . وقد ظلت الفلسفة حاوية للعلوم جميعا فى العصرين القديم والوسيط حتى مطلع العصر الحديث ، حينما بدأت العلوم تنفض عنها غبار الفلسفة واداتها ، أعنى المنطق الصورى ، لكى تبدأ مسيرتها مستعينة بمنطق الاستقراء التجريبى ، الذى يعد مفتاح العلم وتقدمه فى العصر الحديث .

وعلى الرغم من أن المسلمين قد استشفوا المنهج العلمى القائم على الاستقراء ـ وقد ظهر ذلك ضمنا فى أبحاثهم كما اثبتت الأبحاث مؤخرا ـ (٢) الا أن جميع فروع العلم المعروفة فى العصر الاسلامى، غير العلوم الشرعية والعربية، وهى مايسمى **بالعلوم الدخيلة** كانت تنضوى كلها تحت لواء الفلسفة . فأبحاث ابن سينا فى الطب، والبيرونى فى الرياضة ، وابن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعة والفلك ، والبتانى والفرغانى ... الخ .

كل هؤلاء العلماء كانوا ينطلقون من الفلسفة ومطالبها فى اتجاه علومهم الجزئية . ومن ثم فان اى تصنيف للعلوم عند العرب سيكون خاضعا لهذا التوجيه القديم الذى رسخ منذ عهد ارسطو

---

(٢) جلال موسى ، المنهج العلمى عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية والكونية . بحث للدكتور جلال موسى باشرافنا .

الى الآن فى العالمين القديم والوسيط . ولو اننا سنجد اختلافا من حيث التفصيل ، واختلافا آخر جوهريا . اما الاختلاف الاول فهو فى جعل المنطق فرعا من فروع الفلسفة ، تليه الفلسفة النظرية ، وهى ذات ثلاثة فروع : العلم الطبيعى، والعلم الرياضى او الاوسط ، ثم العلم الالهى . وتتفرع من هذه العلوم الثلاثة سائر العلوم المعروفة فى ذلك العصر .. وتأتى العلوم العملية بعد الفلسفة النظرية ، وهى تتفرع الى سياسة واخلاق وتدبير المنزل . وسنجد ان فريقا من مؤرخى العلم العربى من المسلمين سيذهبون مع ارسطو فى هذا التقسيم مع تغيير المسميات ، والبعض الآخر سيلغى القسم الثانى ، ويضع بدلا منه قسما آخر لايسميه بالعلوم ، بل يذكره باسم الصنائع . وسنرى كيف يصوغ ابن خلدون موقفه بهذا الصدد في التفرقة بين العلم النظرى والصنائع ، أى العلم التطبيقى ، او الممارسات الحرفية القائمة على الخبرة البحتة ، وليس على النظر العقلى الخالص .

يبقى ان نشير الى الاختلاف الثانى الجوهرى بين تصنيفات قدماء اليونان وتصنيفات المسلمين وهو يرجع الى افراد قسم خاص بالعلوم النقلية اى الشرعية ، المتعلقة بالدين وباللغة العربية وآدابها وهي لغة القرآن . فان هذه العلوم الاسلامية والعربية التى كان لها مقام الصدارة عند الاسلاميين بحيث شغلت اذهانهم طوال عصور الازدهار ، وكذلك فى عصور الانحطاط الفكرى ، هذه العلوم الشرعية لم يكن لها أثر كبير فى تعطيل اتجاه المسلمين لتحصيل العلوم العقلية وممارسة تطبيقاتها ، بل والتجويد فيها فى شتى الميادين ، وذلك رغم تحذيرات بعض الفقهاء من الحنابلة والمالكية المتزمتين ، الذين وقفوا موقفا معارضا لانتشار ما أسموه بالعلوم الدخيلة بين المسلمين .

وسنقتصر فى بحثنا هذا على تناول فترة طويلة بالدراسة تستغرق خمسة قرون . (من القرن الثالث الى القرن الثامن) من الفارابى حتى عصر ابن خلدون . على ان يكون تركيزنا على هذين القطبين الكبيرين ، أى الفارابى وابن خلدون .

ونلاحظ من ناحية اخرى ان هذا البحث سوف ينصب على فترة زمنية بعد جابر بن حيان والكندى ، وكان لهما مجهود فيما يختص بتصنيف العلوم .

اما الفترة موضوع البحث فهى تشتمل على مواقف ابن سينا ، واخوان الصفا ، وابن النديم ، والخوارزمى كحلقة اتصال بين كل من الفارابى وابن خلدون .

وهدفنا النهائى هو ان نرصد تطور حركة تصنيف العلوم عند العرب من الفارابى كنقطة انطلاق واعية فى هذا المجال ، حتى نرى هذا التيار وهو يصب فى ابن خلدون ، وما تصوره من هيكل لتصنيف العلوم والتمييز بينها وبين الصنائع .

• • •

اولا : تصنيف العلوم عند الفارابى

١ ـ لاشك أن **الكندى** الفيلسوف يعد المقدمة التى لاغنى عنها للفكر الفلسفى فى الاسلام، فهو أول فيلسوف اسلامى ينقل الفلسفة اليونانية ويضمنها الفكر العربى ، ومن ثم فان موقفه من تصنيف العلوم الذى تلقاه من القدماء يعد مدخلنا الى تصنيف العلوم عند الفارابى .

ويذكر ابن نباتة من كلام الكندى فى الفلسفة أن علومها ثلاثة : العلم الطبيعى والعلم الرياضى ، اى التعاليم ، وهو اوسطها فى الطبع ، وعلم الربوبية وهو اعلاها فى الطبع . ويشتمل علم الرياضيات عند الكندى على دراسة العدد والهندسة والتنجيم . ويلاحظ من ناحية أخرى أن الكندى لم يعرض فى تقسيمه للعلوم لأقسام الفلسفة العملية تفصيلا ، بل اشار اليها اشارة مجملة ، كما انه اغفل ذكر المنطق فى هذا التصنيف ، (٣) على اعتبار انه اداة العلم وليس جزءا منه على رأى ارسطو .

٢ ـ اما **الفارابى** فانه يعد المفكر الاسلامى الاول الذى عنى بدراسة تصنيفات العلوم ، اذ افرد لها كتاب « احصاء العلوم » وهو يعد من اهم كتبه على الاطلاق . (٤)

يحدد الفارابى مقصده من تحرير هذا الكتاب ، فيذكر فى مقدمته انه قصد من هذا الكتاب احصاء العلوم المشهورة فى عصره علما علما ، وتعيين غرضها بالدقة اللازمة ، وبيان مجمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، واجزاء كل ماله اجزاء ، ومجمل ما في كل واحد من اجزاء ، وهو فى خمسة فصول ، **الفصل الاول** فى علم اللسان واجزائه ، **والثانى** فى علم المنطق واجزائه ، **والثالث** فى علوم التعاليم ، اى العلوم الرياضية والطبيعية وهى العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمى وعلم الموسيقى وعلم الاثقال وعلم الحيل . **والرابع** فى العلم الطبيعى وأجزائه وفى العلم الالهى وأجزائه ، **والخامس** فى العلم المدنى واجزائه وفى علم الفقه وعلم الكلام . (٥)

---

(٣) راجع للمؤلف كتاب الفلسفة الاسلامية : شخصياتها ومذاهبها ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٤) راجع النشرة النقدية الممتازة لكتاب احصاء العلوم تحقيق د.عثمان امين ، وقد قدم لها بمقدمة مستفيضة ، استفدنا منها فى هذا الموضع . وراجع ايضا كتابنا : الفلسفة ومباحثها من ص ١٠٨ ـ ١١٤ حيث توجد دراسة مركزة عن هذا الكتاب . راجع ايضا ، حول اهمية كتاب احصاء العلوم ، مقال د.صالح العمارنة عن (كتاب احصاء العلوم للفارابى والمنهج العلمى) فى اعمال مؤتمر بغداد عن الفارابى سنة ١٩٧٥ من ص ٥٤ ـ ٦٣ . ويقال ان سبب اشتهار الفارابى باسم فيلسوف الاسلام هو كتابه احصاء العلوم الذى صنف فيه علوم عصره ، يذهب الى هذا دى بور ، وعثمان امين ، دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، عثمان امين : مقدمة كتاب احصاء العلوم ص ٣٦ . وكذلك قول ابن صاعد الاندلسى فى كتاب (طبقات الأمم) ، حيث يذكر « للفارابى كتاب شريف فى احصاء العلوم والتعريف باغراضها لم يسبق اليه ولاذهب اليه احد مذهبه فيه ، ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاقتداء به وتقديم النظر فيه » . ابن صاعد الاندلسى ، كتاب طبقات الامم ، ص ٥٣ .

(٥) احصاء العلوم للفارابى ، المقدمة ، ص ٤٣ ، فى نشرة عثمان امين .

ويوضح الفارابى هدفه من تحريره لهـذاالكتاب فيقول « وبهذا الكتاب يقدر الانسان على ان يقايس بين العلوم فيعلم أيها افضل وأيها انفع وأيها اتقن واوثق واقوى ، وأيها أوهن وأوهى واضعف » . (٦)

وسنرى فى عرضنا لهذه العلوم الثمانية ،التى اشار اليها ، انه يعتبر ان الفقه وعلم الكلام صناعتـان زائدتان على الفلسـفة ومتأخـرتانبالزمان عنها ، على الرغم من انهما تابعان لها ، من حيث انهما يدخلان فى دائرة العلوم العملية ،كالأخلاق والسياسة وتدبير المنزل ، وهذا القول فيه نظر ، فاذا كانت هناك وشيجة ظاهرة بينعلم الكلام والفلسفة من حيث استخدام النظر العقلى فى كل منهما مع اختلاف المنهج فيهما ، الاان علم الفقه يعد علما اسلاميا خالصا ، لاصلة له بالفلسفة وعلومها ، الا مـن حيث كونه علمـاعمليا قد يندرج تحوزا تحت القسم العملى من العلوم التى أشار اليها القدماء اجمالا . وهذاالربط غير الطبيعى بين الفقه وعلم الكلام مـن ناحية ، وبين العلوم الاخرى قد اثار نقد بعضمؤرخى الفلسفة ، حيث يشير **لويس جارديه** الى ان محاولة الفارابى فى ادخال علم الكلام وعلمالفقه فى دائرة العلوم العملية جعلت من تصنيفه عملا مصطنعا . (٧) لكننا لانلبث ان نجد موقفـاآخر للويس جارديه فى بحث مؤخر لـه عـن الفارابى ، حيث يذكر ان وضع هذين العلمين فىدائرة العلوم العملية الىجوار الاخلاق والسياسة وتدبير المنزل ، انما يعتبر ثمرة حقيقية لعمليـةالتوفيق بين الفلسفة والدين ، التى اتسمت بها فلسفة الفارابى التلفيقية . (٨)

• • •

٣ ـ محتويات كتاب احصاء العلوم :

أ ـ يتضمن الفصل الاول من هذا الكتابدراسـة عـن اللفـة ، ويذكر الفارابى ان علـم اللسان (٩) يشتمل على قسمين : ـ

(١) حفظ الالفاظ التى عند الأمة ، وهذافى العادة تقوم به القواميس والمعاجم اللغويـة المختلفة .

---

(٦) كتاب احصاء العلوم ، نشرة عثمان امين ، ص٥٣ ـ ٥٤ .

(٧) لويس جارديه ، وقنواتى : فلسفة الفكر الدينىبين الاسلام والمسيحية ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ١٩٢ .

(٨) لويس جارديه : التوفيق بين الدين والفلسفة عندالفارابى ، فى مجلد الفارابى والحضارة الانسانية ، مهرجان الفارابى ـ بغداد ١٩٧٥ ، ص ١٢٩ .

(٩) يرى الفارابى ان لهذا العلم سبعة أجزاء عظمىعند الامم جميعا هى : علم الالفاظ المفردة ـ علم الالفـاظ المركبة ـ علم قوانين الالفاظ عندما تكون مفردة ، وقوانينالالفاظ عندما تركب ـ وقوانين تصحيح الكتابة ، وقوانين تصحيح القراءة ، وقوانين الاشعار . (راجع احصاء العلوم،الفصل الاول ص ٦٠ ـ ٤٧) .

(٢) أمـا العلم الثانى مـن قسمى علم اللسان فهو العلم الذى يستنبط قوانين هـذه الالفاظ وهو المعروف بعلم اللغة ، ثم القواعـد التى تتم بمقتضاها هذه الالفاظ وهو علم النحو. وكانت للفارابى مساجلات عديدة هو واستاذه « أبو بشر متى » ارادا أن يثبتا استمداد النحـو من المنطق . (١٠)

ب ـ أما الفصل الثانى فهو يتضمن دراسة موسعة عن علم المنطـق تشتمـل على العبارة والقياس والبرهان والمقولات والمواضع الجدلية والخطابة والشعر . ويلاحظ ان الفارابى قـد توسع فى هذا الفصل عن قصد وغاية ، ذلك انه كان يريد الرد على المهاجمين للمنطق فى عصره بعد ان تغلب رأى النحويين فى مناظرة وقعت عام ٣٢٠ هـ فى بغداد (١١) فى مجلس الفضل بن جعفر بن الفرات وزير الخليفة المقتدر آنذاك . وكانت المناظرة ما بين ابى سعيد السيرافى اللغوى الفقيه المتكلم الذى اخذ عن ابى السراج ، وما بين ابـى بشر متى بن يونس المتوفى عام ٣٢٨ هـ ـ أستـاذ الفارابى ـ وكان له مجلس للتعليم يضخم فيه دور المنطق ويقصر دور النحو على اللفظ لا المعنى ، وقد انتهت هذه المناظرة بانتظار ابى سعيد على مجادلة ومنافسة ابى بشر ، واعتبر هذا انتصار للنحو على المنطق ، وللنحويين والمتكلمين علـى اصحاب المنطق والفلسفة . وكان سبب اندحار ابى بشر أنه كـان يجهل النحو واحكـام اللغـة والحروف ومعانيها ومواضع استعمالها ، ومـن هنا نجح السيرافى في اظهار جملة اللغـة العربية ونحوها وفقهها ، ولم يغنه المنطق فى اقناع النظارة فى صحة ما يقـول به من صلـة المنطق بالنحـو واستمداد النحو من المنطق . وقـد أثار هـذا الانتصار شكوكا فى فوائد المنطق والفلسفة ودعوى اصحابها . وكانت علاقـة الفارابى بأبـى بشر معروفة ، اذ اخذ عنه المنطق ، وكان الفارابى فى زمن المناظرة يقرأ المنطق والفلسفة مع تلامذته ، ويملى عليهم شروحه لكتب المنطق وعلاقته بالنحو . وقد كان على الفارابى ان يجيب على التساؤلات التى اثارتها هذه المناظرة ، وجاء كتاب الحروف ، ثم كتاب احصاء العلوم ليشاركا فى الجدل الدائر حول صلة المنطق بالنحو . وقد استاء الفارابى من هجمة بعض النحويين على المنطق وادعائهـم بانه فضل لا يحتاج اليه من كان كامل القريحة ، فرد عليهم بأن النحو ايضا لا يحتاج اليه مـن لا يلحن أصلا من غير أن يكون قد علم شيئا مـن قواعد النحو . ويختم الفارابى مناقشته حـول هذا الموضوع باشارته الى ان علـم النحو انمـا يعطى قوانين تخص الفاظ امة مـا ، واما علـم المنطق فهـو يعطى قوانـين مشتركة تعم الامـم كلها . (١٢)

---

(١٠) راجع للمؤلف بحثا عن « دراسة تحليلية مقارنة بين المنطق ورأى الفارابى فيهما » ، ص ١٨٧ ـ ٢١٠ ، فى أعمال مؤتمر الفارابى والحضارة الانسـانية ، بغـداد ـ ١٩٧٥ .

(١١) راجع فى هذا الموضع ومايليه خاصة بالمنطق والنحو ، مقال الدكتور صالح الحمارنة ، عن كتاب « احصاء العلوم للفارابى » بمجموعة اعمال مؤتمر الفارابى والحضارة الانسانية ببغداد ١٩٧٥ ص ٥٤ ـ ٥٥ . وكذلك مقدمة كتاب الحروف للفارابى ، نشره الدكتور محسن مهدى ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٧ ، ص ٤٨ . وكذلك (الامتاع والمؤانسة) لابى حيان التوحيدى ، نشرة القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤ جـ ١ ص ١١٤ .

(١٢) الفارابى : احصاء العلوم : ، ص ٧٤ ، ص ٧٦.

هذه هي اذن المبررات التي دفعت بالفارابي الى تخصيص الفصل الثاني باكمله من احصاء العلوم لعلم المنطق بعد ان فصله عن الفلسفة كما فعل ارسطو ، وقدمه على سائر العلوم اذ هو آلة للفكر ، وليس جزءا من الفكر ، يقول الفارابي« ان صناعة المنطق تعطي بالجملة القوانين التي شأنها ان تقوم العقل وتسدد الانسان نحو طريق الصواب ونحو الحق ؛ في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل » (١٣) فالمنطق اذن عند الفارابي ينطوي على قوانين عامة كلية لابد من مراعاتها في اي علم ، اذ انها تعصم الذهن من الزلل في الاحكام ، ولذلك يجب تقديم الكلام فيه قبل الخوض في سائر العلوم الاخرى . (١٤) ويلاحظ من ناحية اخرى ان الفارابي قد ادخل في اقسام الصناعة المنطقية موضوعات لم يدرجها ارسطو في دائرتها ، وذلك بما اسماه بالاقاويل الخطابية والاقاويل الشعرية . (١٥) وكان ارسطو قد ميز بين ثلاث مجموعات من العلوم هي : العلوم النظرية ـ العلوم العملية ـ العلوم الشعرية (١٦) . وقد قصر العلوم الشعرية على كتابي الخطابة والشعر ، ولكن الشراح لم يهتموا كثيرا بوضع قسم ثالث للعلوم عند ارسطو ، بل انصب اهتمامهم على تقسيم العلوم الى نظرية وعملية ، ومن ثم فان الفارابي قد وجد طريقة الى اقحام الخطابة والشعر على المنطق ، دون معارضة جدية من مؤرخي الفلسفة على عصره او فيما بعد هذا العصر ، ذلك لانه تلقى هذا التقليد من المفسرين المشائين في القرن الخامس الميلادي بعد الاسكندر الافروديسي مثل امونيوس ، وسمبليقيوس ، وداود الارمني ، اذ ان هؤلاء كانوا قد وضعوا الخطابة والشعر في تصنيفهم للاورجانون . هذا بالاضافة الى ايساغوجي فورفوريوس ، ولهذا فقد تبع العرب هؤلاء المشائين المتأخرين في دراستهم للاورجانون ، حيث يتناولونه جزءا بعد آخر من أجزائه التسعة ، مبتدئين بايساغوجي ومنتهين بالشعر . (١٧)

جـ ـ **أما الفصل الثالث** من كتاب احصاء العلوم فيشتمل على علوم التعاليم ، وهي تنقسم الى سبعة أجزاء :

١ ـ علم العدد والحساب .

٢ ـ علم الهندسة . ويقصد به هندسة اقليدس . لا الهندسة التطبيقية .

٣ ـ علم المناظر .

---

(١٣) المرجع السابق ، ص ٥٣ . راجع بحثا عن احصاء العلوم في اعمال مؤتمر بغداد عن الفارابي سنة ١٩٧٥ .

(١٤) راجع التنبيه على سبيل السعادة للفارابي ، طبعة حيدر آباد الدكن ١٩٢٦ ، ص ٢٣ .

(١٥) احصاء العلوم للفارابي : ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(١٦) راجع للمؤلف تاريخ الفكر الفلسفي ارسطو ، ص ٣٢ هامش (٢) : ـ كتاب الجدل ـ الكتاب الثالث ـ الفصل الثالث ف ١١٤٥ أ ـ الكتاب الثامن ـ الفصل الاول ف ١١٥٧ ، وايضا كتاب الاخلاق النيقوماخية ـ الكتاب الثالث ، الفصل الثاني ف ١١٣٩ أ ـ كتاب الميتافيزيقا ـ الكتاب الاول ـ الفصل السابع .

(١٧) Dr. Izzah. Madkour, L'Organon d,Aristote dans le monde Arabe, Paris 1934, p. 12.

٤ ـ علم النجوم أو علم الفلك . ويذكر الفارابى « وهو اما علم أحكام النجوم أو علم النجوم التعليمى » .

٥ ـ علم الموسيقى ، وهو « اما علم الموسيقى العملية ، أو علم الموسيقى النظرية . »

٦ ـ علم الاثقال .

٧ ـ علم الحيل او علم الميكانيكا التطبيقى المعاصر او علم قوانين الحركة .

ويلاحظ ان اشارة الفارابى الى علم النجوم وقوله بانه ينطوى على علمين هما علم أحكام النجوم ، وعلم النجوم التعليمى ، هذه الاشارة تنطوى على دلالات كثيرة .

١ ـ فعلم أحكام النجوم هو علم دلالات الكواكب على ما سيحدث فى المستقبل ، اى هو العلم الذى يربط حياة الانسان برصد الكواكب والافلاك . وهو اشبه بالرؤيا والزجر والعرافة .

٢ ـ اما علم النجوم التعليمى ، فهو مايعرف لدينا الآن بعلم الفلك، ولكن الفارابى يشير الى موضوع جديد لهذا العلم فيقول ان علم النجوم التعليمي يبحث فى الاجسام السماوية وفى الارض عن ثلاث جمل : ـ

اولها : اشكال الاجسام السماوية والارض واوضاعها ومراتبها ومقادير اجرامها ونسبة اوضاع بعضها من بعض .

وثانيها : البحث عن حركات الاجسام السماوية وشكلها الكروى والكواكب وغير الكواكب ، ومعرفة مكان كل كوكب واجزاء البروج ، والقمر والشمس والتشاريق والتغاريب ، وبالجملة كل ما يعرض لاجسام عالم السماء وحركاتها ، خلوا من اضافتها الى الارض . وهذا هو المقصود بدراسة علم الفلك .

ثالثها : ان هذا العلم ، اى علم النجوم التعليمي ، انما يبحث فى المعمور من الارض وغير المعمور واقاليمها ، ومساكنها وترتيبها فى العالم ودورة فصولها ، وهذا ما يسمى الآن بعلم الجغرافيا . كان الفارابى يجعل الارض كوكبا من الكواكب التى ستدرس فى علم النجوم . (١٨)

د ـ **العلم الطبيعى** : « وينظر فى الاجسام الطبيعية ، وفى الاعراض التي قوامها هذه الاجسام ، ويعرف الاشياء التى عنها والتي بها والتى لها توجد هذه الاجسام ، والاعراض التى قوامها فيها » . (١٩) ويشتمل العلم الطبيعى على ثمانية اجزاء ، ينقلها الفارابى عن ارسطو ، وهى : ـ

(١) السماع الطبيعى .

---

(١٨) احصاء العلوم ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ، مرجع سابق .

(١٩) كتاب احصاء العلوم ، ص ٩١ .

(٢) كتاب السماء والعالم ، وهو كتاب عرف فيالعصور الوسطى باسم De Caelo

(٣) الكون والفساد .

(٤ ، ٥) الآثار العلوية (٢٠)

(٦) المعادن .

(٧) النبات .

(٨) الحيوان والنفس ، وهنا نجد الفارابى يتابعارسطو تماما فى هذا الموضع ، لان أرسطو يرى ان العلم الطبيعى يبحث فى الموجودات المركبة منصورة وهيولى ، ولما كانت النفس صورة الجسم الحي ومبدا افعاله الحيوية ، ولهذا فان دراسةالنفس ومراتبها النباتية والحيوانية والناطقة ، انما تدخل فى نطاق العلم الطبيعى .

والتزام الفارابى بهذا الموقف الارسطوىانما يتعارض مع ما يذكره فى مواضع أخرى من كتبه عن شرف النفس وعلوها وارتباطها بالعالمالاعلى على نحو ما ذكره افلاطون ، ولهذا فان مبحث النفس عنده وعند ابن سينا لم يكن منالمناسب أن يوضع فى دائرة أبحاث العلمالطبيعى، لعدم احتذاء الفارابى للموقف الارسطوىالخالص فى فلسفته . وهذه هى احدى عيوب النزعة التلفيقية عند الفارابى . (٢١)

هـ ــ **العلم الالهى** ، وهو موضوع كتاب مابعد الطبيعة وينقسم الى ثلاثة اقسام :

(١) قسم يفحص فيه عن الموجودات بماهي موجودات ، اى عن المبادىء الاولى للفلسفة.

(٢) اما القسم الثانيفهو يبحثفى مبادىءالبراهين فى العلوم النظرية والجزئية .

(٣) يبقى القسم الثالث وهو يبحث فىالموجودات المجردة ، اى فى الانيات الروحانية التي ليست بأجسام ولا فى اجسام . (٢٢)

و ــ **العلم المدنى** : وهو يفحص فى اصنافالافعال والسنين الارادية ، وكيفينبغي ان تكون موجودة فى الانسان دونغيره من الكائنات الحية،وهذا العلم يوضح ويفصل غايات الافعال ، اى انه علم غائى ، وهو كذلك من العلوم العملية ،ويتفرع الى فرعين : ــ

(١) الواحد منها يشتمل تعريف السعادةوعلى وجوه طلبها من حيث ان السعادة الدنيوية والاخروية هى مطلب اساسى للانسان .

---

(٢٠) راجع احصاء العلوم لشرح هذا الموضع .

(٢١) راجع مؤلفنا عن تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام،فى موضوع الفارابى وفلسفته .

(٢٢) راجع احصاء العلوم ، ص ٩٩ .

(٢) اما الفرع الثانى من هذا العلم فهـو يشتمل على ترتيب الشيم والسير والافعال ؛ اى ان هذا الفرع يتضمن الاشارة الى انماط السلوك الانسانى .

ويلاحظ على ما يشتمل عليه العلم المدنى من مطالب انها تشير فى مجملها الى العلوم العملية التى اشار اليها ارسطو دون ان يذكر الفارابى صراحة اقسام هذه العلوم فى كتاب الاحصاء ، ولكنه يشير الى هذه الاقسام اى فروع العلوم العملية فى كتاب « التنبيه على سبيل السعادة »، وهو يجمل هذه العلوم فى كتاب الاحصاء تحت اسم العلم المدنى ، ويضيف اليه علم الفقه وعلم الكلام .

وهذه اضافة يقصد منها ان يكون هذان العلمان فرعين من العلوم العملية ، وليسا علمين مستقلين عن اقسام العلوم عند الفارابى ، وسنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد .

والحقيقة ان مبحث السعادة الذى تصدر عنه سائر مباحث العلوم العملية انما يعد موضوعا للعلوم العملية عند ارسطو ، وهى الاخلاق والسياسة وتدبير المنزل، فالسعادة يطلبها الفرد لذاته فى مجال علم الاخلاق وهى سعادة دنيوية فقط ، اضاف اليها الفارابى السعادة الاخروية. والسعادة بشقيها مطلب اساسى للانسان عند الفارابى ، وهذا ما يبحثه علم الاخلاق ، بالاضافة الى تعريف الفضيلة والوسط العدل ، وهذه يشير اليها الفارابى فى كتب اخرى .

وكذلك فان السعادة ايضا هي مطلب اساسى لمجتمع المدينة الانسانى، وهذا ما يحققه نظام المدينة السياسي ، ويبحثه ارسطو فى علم السياسة .

أما تحقيق الكفاية المادية للفرد ولمجتمع المدينة ، والتى تعتبر مدخلا لسعادة الافراد والجماعة من الناحية المادية ، والتى ترجع من ناحية اخرى الى اكتفائهم ذاتيا من النواحى المادية وعدم احتياجهم الى الآخرين ، لاسيما فى حال الازمات والحروب ، فان ذلك يبحثه علم تدبير المنزل او علم الاقتصاد .

ويشير الفارابى الى هذه الانحاء فى كتبه الاخرى ووسائله السياسية والاخلاقية . ولكنه بعد ان جعل الفقه علما قائما بذاته فى تقسيمه كما سنرى ، يتحرج من الاشارة الى الاخلاق او السياسة كعلم ، اذ أن مباحث الفقه العملية تنطوى على أمور كثيرة مما يدخل فى باب السلوك السوى الذى تبحثه الاخلاق ، والتنظيم السياسى الذى يبحثه علم السياسة ، والتنظيم الاقتصادى ، أى المعاملات ، الذى يبحثه علم تدبير المنزل او الاقتصاد ، فكأن الفارابى أراد أن يترك المجال لتدخل الفكر الاسلامي فى تكوين العلم المدنى واعطاءه صبغة اسلامية ، او تقريبا من الشريعة ، كما فعل فى « آراء اهل المدينة الفاضلة » (٢٣) .

ز ـ **علم الفقه** . وهو صناعة بها يستطيع الانسان أن يستنبط تقدير الشيء مما لم يصرح

---

(٢٣) راجع للمؤلف تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام، الفصل الخاص بالفارابى .

واضع الشريعة بتحديده على الاشياء التى صرح فيها بالتحديد والتقدير (القياس) وان يتحرى تصحيح ذلك على حسب غرض واضع الشريعة بالملة التى شرعها فى الأمة التى لها شرع (٢٤) .

واذا كانت عبارة الفارابى تعطى انطباعا بانه انما يتكلم عن صناعة الفقه بالنسبة لجميع الأمم وشرائعها ، الا انه كما رأينا فى رسائله وفى كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة ، انما يجعل الاسلام نصب عينيه حينما يتكلم عن هذه المواضيع الخاصة بالفروع الشرعية للاسلام التى يدرسها علم الفقه . وهو يذكر أن هذا العلم جزءان : ـ

احدهما فى الآراء ، والثانى فى الافعال . اما الجزء الاول فهو يدور حول اصول المذاهب الفقهية أو اصول الاحكام الشرعية والقواعد الاصولية التى تدرس فى علم اصول الفقه ، وهى مستمدة من العقائد التى هى أصل الشريعة ومنبعها .

اما الجزء الثانى من علم الفقه فهو تطبيقى يدور حول مسائل الفروع ، أى حول سلوك المسلم وممارسته العملية في حياته المؤتمرة بالعقائد الاسلامية . وهنا نجد مباحث وموضوعات الاخلاق والسياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون بصفة عامة .

ح ـ **علم الكلام** ، وصناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصرة الآراء والافعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة ، وتزييف كل ما خالفها بالاقاويل (٢٥) .

ولهذا العلم جزءان :

الاول : يدور حول الآراء **والثاني** : حول الافعال .

اما ما يدور حول الآراء فهو ما يتعلق بمسائل التوحيد وذات الله وصفاته وأفعاله ، أى ما يمس العقيدة عن كثب . اما القسم الثانى فهو يتعلق بأفعال الانسان ، مثل الجبر والاختيار ، ومشكلة الامامة ، وغيرها من مباحث تتعلق بسلوك الفرد والجماعة ، والنظر اليهما من زاوية العقل الانساني .

• • •

٤ ـ دراسة نقدية حول بناء التصنيف عند الفارابى واساسه

لقد جاءت محاولات السابقين على الفارابى فى مجال تصنيفات العلوم بمثابة نظرات تقليدية تسبق الكلام عن اقسام الفلسفة ومباحثها ، وكأداة منهجية لدراسة موضوعات الفلسفة واستيعاب اقسامها .

---

(٢٤) احصاء العلوم ، ص ١٠٦ ـ ص ١٠٧ .

(٢٥) احصاء العلوم ، ص ١٠٨ .

ولهذا فقد تميزت محاولة الفارابى فى تصنيفه عن السابقين عليه بالجدة والاصالة ، وتعمد المؤلف القصد اليها والرغبة الواضحة فى الاحاطة بفروع العلم فى عصره واكتمال تصوراته عن محتوى هذه الفروع وميادين بحثها ، فلم يكن مجهوده بهذا الصدد من قبيل التجميع التراكمى لهذه العلوم ، بل لقد جاء كتاب « احصاء العلوم » على سبيل التطبيق العلمى لنظريته العامة فى ترتيب العلوم .

واذا كان اى تصنيف للعلوم انما ينبع من الموقف الفلسفى العام للفيلسوف ، لهذا فقد حرص الفارابى على ايضاح الأساس الفلسفى لهذا التصنيف فى كتبه الاخرى مثل : التنبيه على سبيل السعادة (٢٦) ، والسياسات المدنية ، وآراء اهل المدينة الفاضلة ، ثم بيان الغاية القصوى والنهائية من تحصيل العلوم وترتيبها على النحو الذى اشار اليه .

فمن **الناحية الاولى** ، نجده يقيم التصنيف على اساس موقف ابستمولوجى تجاه موضوعات المعرفة ، فمنها موجودات يعرفها الانسان ولادخل له فى فعلها ، والمعرفة تطلب فيها لذاتها .

اما الصنف الثانى من الموضوعات فان الانسان يعرفها ويستطيع فعلها ، والمعرفة تطلب هنا من أجل العمل او المنفعة .

والصنف الاول من الموجودات تدرسه العلوم النظرية .

اما الصنف الثانى فتبحث فيه العلوم العملية . وقد قدم الفارابى العلوم النظرية على العلوم العملية لتوقف الثانية على الاولى .

ومن **الناحية الثانية** ، اى من حيث الغاية النهائية القصوى من تحصيل العلوم وترتيبها فان الفارابى يتجه اتجاها أخلاقيا عاما من حيث انه يتبنى نظرية ارسطو فى السعادة ، وكيف أن غاية الحياة هى السعادة التى تتحقق بالدرجة الاولى من التأمل ، اى من الفلسفة او الحكمة ، وتأمل موضوعاتها الالهية ، هذا فضلا عن أن الانسان يطلب السعادة أيضا من وراء ممارساته العملية فى حياته ، وهذه هى المنفعة القصوى التى يجنيها من معرفة العلوم العملية .

ومن ثم فان السعادة ، كما يرى الفارابى ، غاية كل انسان وهى تحصل بالاكتساب وتتوقف على جودة التمييز الذى يحصل بقوة الذهن التى نستفيدها من صناعة المنطق .

وعلى هذا النحو يحصل الانسان على معارف يكون قسم منها مقصوده تحصيل الجميل ، وقسم آخر تحصيل النافع .

اما القسم الاول فيسمى بالفلسفة او بالحكمة وعلومها ، وبها ينال الانسان السعادة القصوى وهذه العلوم وهي القسم النظرى من تصنيف العلوم عند الفارابى ، انما تطلب لذاتها .

وتدخل العلوم العملية ، كالعلم المدني والفقه وعلم الكلام فى قسم العلوم النافعة ، وهي لا تطلب لذاتها ، ويكون تحقيقها للسعادة عن طريق فعلها .

واذن فالغاية من تحصيل القسمين واحدة ، وهي السعادة .

وبينما تتحقق السعادة فى المعرفة النظرية عن طريق المعرفة الخالصة وبلوغ تمام اليقين نجد أن السعادة تتحقق فى نطاق المعرفة العملية عن طريق المنفعة العملية التى يكتسبها من يحصل هذه العلوم (٢٧) .

• • •

ثانيا : تصنيف العلوم بين ابن سينا واخوان الصفا

قبل ان نتناول تصنيف العلوم عند ابن سينا تحسن الاشارة الى كتاب فى احصاء العلوم ظهر تاريخيا قبل ابن سينا وهو كتاب ((مفاتيح العلوم)) للخوارزمى (٢٨) وكانت لكتابه هذا مكانة خاصة فى عصره ، فقد استوعب سائر علوم العصر بطريقة تراكمية اقتصر فيها على الوصف والاحصاء فحسب ، ولم يهتم بمراتب العلوم أو بذكر المراجع التى استند اليها . ويرى « لويس جارديه » أن هذا النقد لا يوجه للخوارزمى فحسب ، بل ينبغي أن يوجه أيضا الى ابن النديم صاحب الفهرست (٢٩) . ومع هذا فان الدومييلى يمتدح كتاب « مفاتيح العلوم » ويذكر أنه مما يزيد من نفاسته تفسيره للمصطلحات الفنية للعلوم (٣٠) .

ويشتمل كتاب مفاتيح العلوم على مقالتين : أولاهما فى ستة ابواب وتعالج علوم الشريعة وما يتصل بها من العلوم العربية مثل الفقه والكلام والنحو والكتابة والشعر والعروض والأخبار . وثانيتهما فى تسعة ابواب نجد فيها علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم ، وهي الفلسفة ، والمنطق والطب وعلم العدد والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والحيل والكيمياء .

يلاحظ على هذا التصنيف ان صاحبه اضاف علمى الطب والكيمياء الى مجموعة العلوم الفلسفية ؛ وكان الفارابى قد اهمل ذكرهما ، كذلك يمكن القول بأنه لا يوجد اساس واضح لتصنيف الخوارزمى ، كما هو الحال عند الفارابى .

(١) ابن سينا (٣١) وتصنيفه للعلوم :

ويعرف ابن سينا الحكمة فى رسالة اقسام العلوم العقلية بانها صناعة يستفيد منها الانسان

---

(٢٦) الفارابى : التنبية على سبيل السعادة ، طبع الهند ١٣٤٦ هـ ، ص ٢١ .

(٢٧) راجع الفارابى : التنبيه على سبيل السعادة ، وكذلك كتاب « المعلم الثانى » للشيخ مصطفى عبد الرازق ، ص ٧٦ .

(٢٨) هو ابو عبد الله محمد الخوارزمى المتوفى عام ٣٨٧ هـ / ٩٩٧م .

(٢٩) لويس جارديه ، وقنواتى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ص ٢٠٢ الترجمة العربية .

(٣٠) الدومييلى : العلوم عند العرب ، الترجمة العربية ، ١٩٦٢ ، ص ١٨٠ .

(٣١) يعتبر كتاب الشفاء لابن سينا موسوعة علمية تشتمل على العلوم التى اوردها الفارابى فى « كتاب الاحصاء » .

تحصيل ما عليه الوجود كله فى نفسه ، وما عليه الواجب مما ينبغي ان يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود ، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الانسانية .

فكأن ابن سينا بهذا التعريف للحكمة يجمع فيها العلوم النظرية المجردة الى جانب العلوم العملية ، كما فعل ارسطو ، مع اضافة العلوم الشرعية الى قسم العلوم العملية ، وهذا يفهم من اشارته فى تعريف للحكمة وقوله « لأن كمال النفس لا يتم بطلب ما هو معقول فحسب ؛ بل ان الاستعداد للآخرة ـ اى لعالم المعاد ـ هو امر متمم لسعادة الانسان ، بل لحصوله على السعادة القصوى فى الآخرة . وهذا لا يتضمنه قسم العلوم العملية عند ارسطو والتى تشتمل على الاخلاق والسياسة وتدبير المنزل .

اما القسم النظرى فالغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الانسان ، ويكون المقصود فيها حصول راى فحسب ؛ مثل علم التوحيد وعلم الهيئة ، اى ان العلوم النظرية تطلب لذاتها بدون نظر الى منفعة عملية .

ويلاحظ من ناحية اخرى ان ابن سينا يدخل علم التوحيد فى دائرة العلوم النظرية ، وهو يحدد مباحثة فى الكلام على وحدانية الله وذاته وصفاته وافعاله . وهذه امور من الممكن ان تكون موضوعات للفلسفة البحتة ، ولكنه يريد التأكيد على ان علم التوحيد الفلسفي انما يشتمل على مبحث العقائد الاسلامية ، اذ ان جوهرها التوحيد ، وهو مبحث نظرى من وجهة النظر الفلسفية .

ويبدو ان ابن سينا قد تأثر بمباحث علم الكلام فى هذه الناحية ، ولا سيما في كلامه عن واجب الوجود ، بعد ان قسم الوجود الى واجب وممكن . والأمر الذى لا شك فيه ان ثمة عناصر كلامية واضحة متداخلة فى فلسفة ابن سينا ويتعين الكشف عنها فى بحث آخر مستقل .

اما القسم العملي من الحكمة ، فالغاية منه حصول صحة راى يحصل بقدرة الانسان ليكسب ما فيه من خير ، اى حصول راى لأجل عمل . وينطبق هذا القول ـ كما سنرى ـ على العلوم العملية عند ارسطو .

(٢) اقسام الحكمة النظرية عند ابن سينا :

تنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة :

(أ) العلم الاسفل وهو العلم الطبيعى ، ويبحث فى امور يتعلق وجودها بالمادة والحركة كالعناصر الأربعة ، واجرام الافلاك ، والاستحالة ، والتغير والحركة ، والكون والفساد . كما تدخل فى دراسته النفس وقواها وافعالها على نحو ما فعل ارسطو . كذلك تدخل سائر العلوم الطبيعية . ولم يكن ابن سينا واضحا فى تقسيمه لهذه العلوم ، مثل الفارابى ، مع انه متأخر عنه كما نعلم .

ب ـ **العلم الاوسط وهو العلم الرياضى** ، ويبحث فى امور وجودها ـ وليس حدودها ـ متعلق بالمادة والحركة ، كالتربيع والتدوير والعدد وخواصه . وهنا ايضا نجد هذا العلم وهو الذى

يشير اليه الاسلاميون باسم علم التعاليم ، كالحساب والهندسة ... وكذلك يمكن القول بأن ابن سينا لم يستفد كثيرا فى تفصيله للعلوم الرياضية من تجربة الفارابى فى احضاء العلوم .

جـ **العلم الاعلى ويسمى بالعلم الالهى** ، ويبحث فى أمور ليس وجودها وكذلك ليست حدودها مفتقرة الى المادة والحركة ، وهما اما ذوات ، كذات الحق رب العالمين ، وهنا ندخل علم التوحيد بمباحثه المختلفة ، سواء أكانت فلسفية أم كلامية . أو صفات مثل الكثرة والعلة والمعلول والكلية والجزئية وغيرها من المعانى التى تظل فى دائرة التجريد . ولابن سينا رسائل تتناول فروع هذا العلم ، نذكر منها مباحثه فى اقسام الملائكة وفى أمور المعاد وغير ذلك من المباحث الالهية العالية .

(٣) أقسام الحكمة العملية عند ابن سينا :

ا ـ **الأخلاق** وبها يعرف الانسان كيف ينبغى ان تكون اخلاقه وافعاله حتى تكون حياته الاولى والآخرة سعيدة . وهنا نرى ابن سينا يربط الاخلاق بالدين ، على غير ما قصده ارسطو فى اخلاقه .

ب ـ **علم السياسة** وبه يعرف المرء اصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات المدنية الفاضلة والرديئة ، كما يدرس اشكال الحكم الصحيحة والفاسدة ، وعلة زوال وبقاء هذه النظم ، فيدرس حاجة النوع الانسانى الى النبوة ، ويفرق بين النبوة الإلهية والنبوة الكاذبة . وهنا نرى كيف ان ابن سينا قد ربط علم السياسة بالدين مخالفا بذلك ارسطو ، وجعل النبوة مطلبا طبيعيا للنوع الانسانى . وفى هذا ربط اساسى للدين بالفلسفة السياسية .

جـ ـ **علم تدبير المنزل** ، او علم الاقتصاد ، وبه يعلم المرء كيف ينبغي أن يكون تدبيره لمنزله المشترك بينه وبين زوجته واولاده ، حتى يتمكن من كسب السعادة . وهنا نرى ارتباط ابن سينا بوجهة النظر اليونانية من حيث قيامها على تصور محدود للاقتصاد وهو ما يعرف باسم الاقتصاد العائلى . واذا كان ارسطو واليونانيون ، بصفة عامة ، قد تكلموا عن تدبير المنزل ، فانهم كانوا يقصدون بذلك أن الوحدة السياسية المثلى هى المدينة وليست الدولة . وان هذه المدينة كانت محدودة العدد ، وتتألف من بضع اسر كبيرة يبرز فيها اليونانيون الخلصاء ، دون العبيد والمهجنين . ولكن المجتمع الاسلامي قام على اساس التسوية بين المسلمين جميعا ، احرارا كانوا ام عبيدا ، عربا كانوا ام من العجم . ولذا فان وقوف ابن سينا عند التفسير الارسطوي لتدبير المنزل ، بالمعنى الضيق الذى اشرنا اليه ، انما يبعده كثيرا عن صورة المجتمع الاسلامي من عصره .

ويرى ابن سينا أن مبدأ هذه العلوم العملية السياسية ، اى فروع الحكمة العملية ، مستفاد من جهة الشريعة الالهية ، وان هذه الاقسام الثلاثة تعد كالاصول ، وتتفرع منها اقسام اخرى هي كالفروع والتوابع بالنسبة لهذه الاقسام . اى انه يفتح المجال امام فروع عملية اخرى متصلة بالدين ، ولهذا فهو يعرض فى رسالته ، التى اشرنا اليها ، لصلة كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة

بالدين ، وينتهي الى القول بأنه ليس شـيء منهايشتمل على ما يخالف الشرع . وهذه محاولة من ابن سينا لربط الحكمة بالدين ، وهذا هو الطابع العام لفلسفته التى تقوم على التوفيق بين الفلسفة والدين . وتظهر هذه المحاولة فى كتبه التى يتناول فيها الاقسام المذكورة من نظرية وعملية بالشرح والدراسة .

اما **المنطق** فهـو آلة هـذه العلـوم جميعاتستخدمه لتمييز الصـواب من الخطأ .. وابن سينا من هذا الوضوع يتابع ارسـطو ، اذ انه يجعل المنطق آلة للعلم ، وليس قسما من أقسام الفلسفة .

ولم يكتف ابن سينا بما أورده من أقسام للحكمة فى رسالة اقسام العلوم العقلية ، بل نجده فى كتابه « منطق المشرقيين » يضيف علما رابعا الى العلوم النظرية ويسميه باسم (العلم الكلي) . وهو يبحث ـ كما يرى ابن سينا ـ فى امور تخالط المادة وقد لا تخالطها مثـل الوحـدة والكثرة ، والكلي والجزئي ، والعلة والمعلول . ذلك لانه رأى ان وضع هذه الامور فى دائرة العلم الالهى سيضفى عليها طابعا مجرداً ، مع انها قد تظهر فى الامـور المحسوسة وبذلك تخرج من هذه الناحية من العلم الالهي . ومن ثم فقد أفرد لها علما خاصا يسمح لنا من خـلاله بتناولهـا على الوجهين ، المجرد والمحسوس معا .

والحقيقـة انه كان من الممكن ان تظل هذه الامور فى دائرة العلم الالهي فى صـورتها المجردة الخالصة ، واما تطبيقاتها فى مجال المحسوس فانها تدخل حتما فى دائـرة العلم الطبيعي ، كما فعل ارسطو .

ويذكر ابن سينا ايضـا فى كتـاب « **منطق المشرقيين** » ، أن العلوم العملية اربعة هي : علم الاخلاق ، علم تدبير المنزل ، علم تدبير المدينة ، ثم الصناعة الشارعة ، اى علم القانون . ثم يبنى حدود المتولى تدبير المنزل أو المدينة ، وكيف ينبغي ان يدير شئون المنزل او المدينة . وهنا نجد ابن سينا يستدرك ما فاته فى تقسيمه الاول بالنسبة لتدبير المدينة ، اذ ان هذا العلم يشتمل على الوجوه السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية لمجتمع المدينة ، اى الدولة فى نظره ، مـع انه يحتفظ فى التقسيم بعلم تدبير المنزل ، اى الاسرة الضيقة . أما العلم الرابع فيعد اضـافة جديدة لتصنيف العلوم عند ابن سينا ، واعنى به علم الصـناعة الشارعة ، اى علم القانون . وهذا العلم يدخل فى دائرة العلم المدنى وكذلك فى دائرة علم الفقه ، ولم تكن الصناعة الشارعة عند الفارابى بهذا القدر الذى اشار اليه ابن سينا .

ويبدو أن أساس التصنيف عند ابن سينا انما يرجع الى الغايـة التى نقصـدها من طلبنا للحكمة . فاذا كانت الغاية علمية تفسيرية ، اى اذا كانت المعرفة تقصد لذاتها دون أى منفعة عملية ، فان العلوم التى تطلبها هى العلوم النظرية . واما اذا كانت الغاية نفعية عملية فان العلوم التى تبحث فيها هى العلوم العملية ، وهنا يتابع ابن سينـا موقف الفارابى فى كتاب احصاء العلوم .

• • •

اخوان الصفا :

نجد اخوان الصفا يقسمون الفلسفة الى نظرية وعملية ، وهم يدخلون القسم العملي كله فى دائرة الالهيات ، وكذلك يضمون الى علوم الفلسفة فروعا لم يدخلها فيها من سبقهم من الفلاسفة وذلك مثل السياسة النبوية وعلم الآخرة .

والأمر الذى لا شك فيه ان تصنيف العلوم عند اخوان الصفا موجه الى غايات باطنية ، وهى المقصودة من رسائلهم التى وضعوها فى سائر علوم عصرهم .

وهم تارة يخالفون ارسطو وابن سينا فيما يختص بالمنطق ، فهو فى نظرهم قسم من اقسام الفلسفة وليس آلة لها . وتارة اخرى يرد فى موضع آخر من رسائلهم أن المنطق اداة الفيلسوف ، وانه ميزان الفلسفة .

• • •

لقد اجملنا فى هذا الجزء من البحث تصنيفات العلوم فى الفترة الواقعة بين الفارابى وابن خلدون ، وهي تستغرق زهاء خمسة قرون تقريبا . وقد لاحظنا ان معظم التصنيفات التى ظهرت فى هذه الحقبة تستمد هيكلها العام من تصنيف الفارابى للعلوم ، مع اختلافات جزئية فى بعض المواضع تتعلق بمضمون العلوم فى فروعها المختلفة ، وكذلك فيما يتعلق بتأجيل العلوم الشرعية حيث يتجه التيار بعد هذه الفترة الى اظهارها فى قسم خاص بها ، يواجه العلوم الدخيلة او العلوم العقلية التى تجمعها الفلسفة او الحكمة على ما سنرى عند ابن خلدون وهو يمثل فترة الركود او نهايات الحضارة الاسلامية فى القرن الثامن الهجرى .

• • •

ثالثا ــ تصنيف العلوم عند ابن خلدون

يرى ابن خلدون ان العلوم التى يخوض فيها البشر تحصيلا وتعليما انما تكون على صنفين :

١ ــ صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره .

٢ ــ وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه .

واما الصنف الاول فهي العلوم الحكمية الفلسفية التي يمكن ان يهتدى اليها الانسان بطبيعة فكره وبمداركه البشرية . ويخوض فى موضوعاتها ، وانحاء براهينها ، من حيث هو انسان ذو فكر ، ليصل الى تمييز الصواب من الخطأ فيها .

العلوم الشرعية
علوم اللسان
علوم القرآن
علوم الحديث
علوم الفقه
علم التوحيد
علم الكلام
علم التصوف
علم تعبير الرؤيا
الفقه
اصول الفقه
١ ـ علم اللغة
٢ ـ علم النحو
٣ ـ علم البيان
٤ ـ علم الادب نظمه ونثره .
١ ـ القراءات
٢ ـ فن الرسم
٣ ـ التفسير
١ ـ علم الناسخ والمنسوخ
٢ ـ علم الاسانيد (الرواية)
٣ ـ علم غريب الحديث
٤ ـ علم تصريف القوانين (اى تطبيق القواعد على الاحاديث)
٥ ـ (علم مصطلح الحديث)

أما الصنف الثاني من العلوم فهي العلوم النقلية الوضعية ، ولا مجال فيها للعقل الا فى الحاق الفروع من مسائلها بالأصول ، وهى كما يقول ابن خلدون « مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعى» (٣٣) (انظر الرسم الملحق) .

ويحدد ابن خلدون دور العقل فى هذه المسألة فيرى ان عملية الحاق الفروع بالاصول ، أو ادراج الجزئيات تحت الكليات لا تتم آليا ، ولكنها تحتاج أولا الى التأكد من ثبوت الاصل او الحكم الكلى الذى تدرج تحته الزئيات ، وهذا امر نقلى ، اى نتلقاه عن غيرنا كسبا أو تعلما . اما الجزء الثاني من عملية تكوين العلوم (الوضعية) فى نظره فانها تتحدد فى استخدام (القياس) لربط الجزئي بالكلي . ويبدو أن ابن خلدون هنا انما يتحدث فى الاصل عن الشرعيات ويضعها فى صدر او فى مقدمة العلوم النقلية . اذ أن استنباط العلوم بهذا الاسلوب القياسي وحده انما يتجاهل المعطيات التجريبية التي تستند اليها العلوم ، وابن خلدون هنا انما يتابع وجهة النظر القديمة التي كانت تقيم العلم على أسس نظرية بحتة ، وتجعل الصدارة للتركيبات العقلية فى تفسيرها للطبيعة وللانسان ، قبل الخوض فى الوقائع التجريبية Empirical Facts ، أى استخدام الاستقراء Induction بطريقة واضحة جلية .

والدليل على صحة ما سقناه من تفسير ، يأتى فى الفقرة التالية لهذا البحث الذى خصصه ابن خلدون لدراسة العلوم الواقعة فى العمران على عهده ، اذ يذكر لنا (٣٣) أن اصل هذه العلوم النقلية كلها هى الشرعيات من الكتاب والسنة ، ولكنه يستطرد فيلحق بهذه العلوم متعلقات اخرى من علوم نستخدمها لكى تتم الاستفادة من الشرعيات . ثم يضيف صنفا آخر من العلوم المساعدة لتمام فهم العلوم السابقة ، وذلك مثل علوم اللسان العربى من لغة ونحو وبيان وادب .

وهذه العلوم النقلية جميعها تختص بالملة الاسلامية ، وان كانت كل ملة ، كما يرى ابن خلدون لا بد فيها من مثل هذه العلوم ، فهى مشاركة لأى ملة فى الجنس البعيد من حيث انها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها . ولكنه يعود فيستدرك قائلا : ان علوم الشريعة الاسلامية على وجه الخصوص مباينة لجميع الملل لانها ناسخة لها « وكل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر فى الكتب المنزلة غير القرآن ».(٣٤) وكلام ابن خلدون هذا يعنى انه ولو أن كل دين سابق على الاسلام كانت له شريعة وعلوم تتبعها على النحو الذى اشار اليه ، الا انه لما جاء الاسلام فان شريعته والعلوم المتعلقة بها والمتفرعة عنها تعد ناسخة لعلوم الاديان السابقة لكل الشعوب .

---

(٣٢) ابن خلدون : المقدمة ، تحقيق الدكتور على عبد الواحد وافى ، ج ٣ ص ٩٩٢ .

(٣٣) المرجع السابق ، نفس الموضع .

ولأمر الذى لا شك فيه ان ابن خلدون هناانما يتناول موقفا يصح أن يدرس فى مجال الدين المقارن ، او فى فلسفة الاديان ، فهو يرى بحسب النص ان كل دين لا بد له من شريعة ومن علوم تكون على مستوى التصنيف الذى يسوقه فى مقدمته . او بمعنى آخر ، كان ابن خلدون يريد أن يضع نسقا واحدا للتفكير الدينى فى علوم الشرائع الدينية على اختلاف أزمانها وشعوبها ، وهذا امر ندرك من خلاله الاساس الموضوعى لتصنيف العلوم النقلية .

ولكن استدراكه الاخير الذى ينسخ فيه علوم الشرائع الاخرى السابقة ، انما يرجع الى ما يعرفه المسلمون من التحريف الذى خضعت له التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة على رسله . ومن ثم فانه يجب الحذر فى تناولها والاكتفاء بعلوم الشريعة الاسلامية الخاتمة لملة ابراهيم الحنيفية.

وابن خلدون يحصر العلوم النقلية ـ على ما سنرى ـ فى علوم اللسان وعلوم القرآن (التفسير والقراءات) وعلوم الحديث وعلم اصول الفقه ، ثم علم الفقه ، ثم علم التوحيد (اى دراسة العقائد الايمانية) ثم علم الكلام وهو علم الحجاج عن هذه العقائد الايمانية ، والرد على المنحرفين عن أهل السنة والسلف، اى انه انما يقصر مباحث علم الكلام على مستوى الموقف الاشعرى الذى يعتنقه ابن خلدون نفسه . وهذه النقطة بالذات انما تدين تصنيفه العلمى للعلوم النقلية ، لأنه بدلا من أن يتجرد لوضع تصنيف موضوعى للعلوم المعروفة فى عصره ، نجده يتخذ موقفا عقائديا معينا يسم به علم الكلام . بينما نجد ان هذا العلم قد وصل فى عصره الى قمة التطور ، واتسعت مباحثه ، وكثرت فيه اقاويل وآراء أصحاب الاعتزال والماتريدية وسائر أهل الفرق التى كان يزخر بها أفق الحياة العقلية فى الاسلام حينذاك.

وأما القسم الذى يلى علم الكلام من أقسام العلوم النقلية فهو **علم التصوف** . **ويذكر** ابن خلدون انه من العلوم الحادثة فى الملة (٣٥)، وهو أيضا يكتفى فى هذا بايراد مشاهدات المتقدمين ومجاهداتهم ورياضتهم على طريقة أهل السنة فحسب . ويكتفى بذم المتأخرين من المتصوفة ومذاهبهم التى تنبو عن موقف أهل السنة من الزهاد والمتصوفين .

اما القسم الاخير من العلوم الشرعية فهو **علم تعبير الرؤيا** (٣٦). ويرى ابن خلدون أن هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، ومتألف فيه الكثيرون ومنهم محمد بن سيرين والكرمانى ، وهو علم يبحث فى تفسير الرؤى والأحلام . ويستند ابن خلدون الى مصوغ دينى لربط هذا العلم

---

(٣٤) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ٨٩٣ .

(٣٥) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٦٣ .

(٣٦) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٨١ .

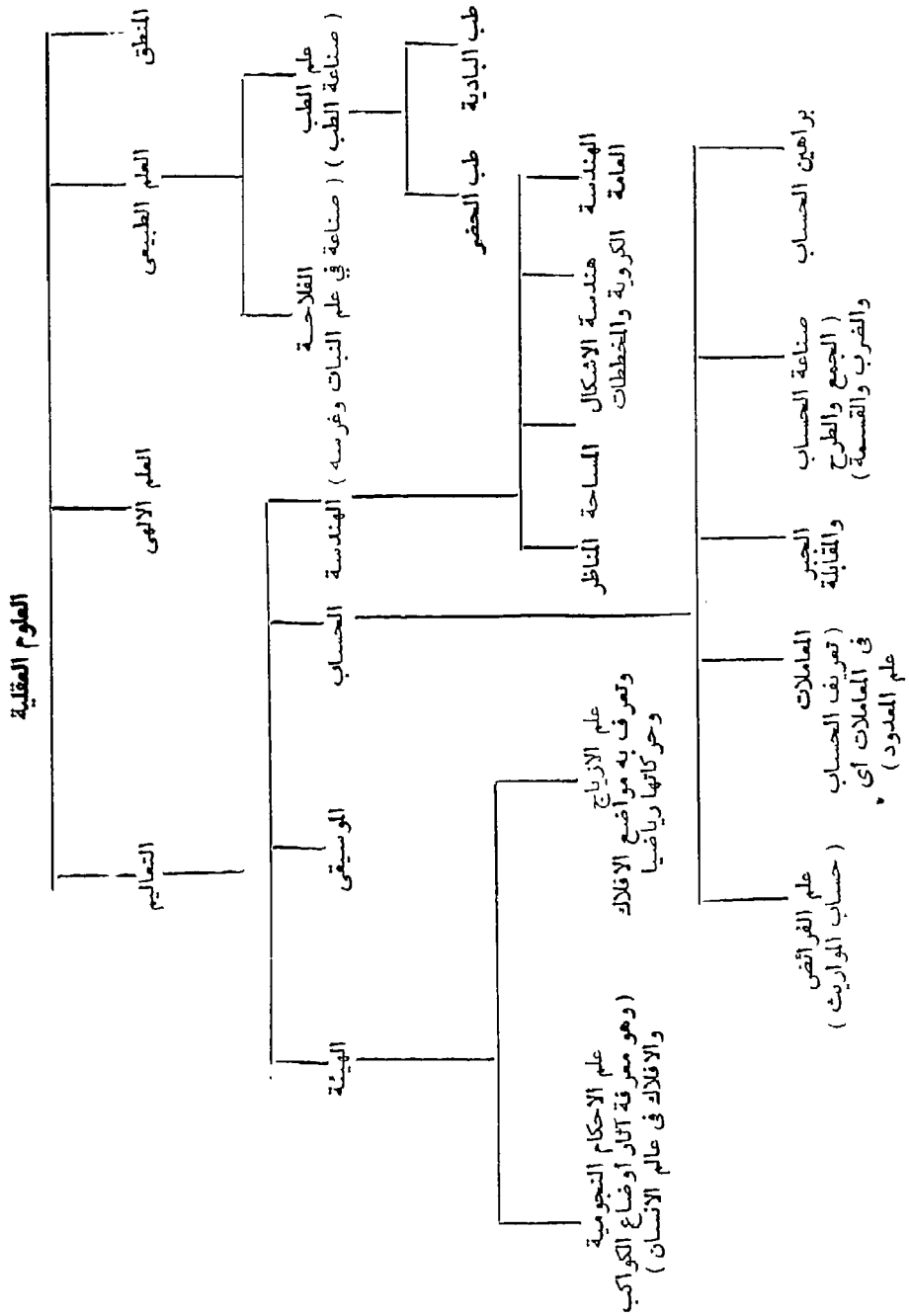
العلوم العقلية
المنطق
العلم الطبيعى
العلم الالهى
التعاليم
علم الطب
(صناعة الطب)
الفلاحة
(صناعة فى علم النبات وغرسه)
طب البادية
طب الحضر
الهندسة العامة
الكروية والمخطوطات
هندسة الاشكال
المساحة المناظر
الهندسة
الحساب
الموسيقى
الهيئة
براهين الحساب
صناعة الحساب
(الجمع والطرح والضرب والقسمة)
الجبر والمقابلة
المعاملات
(تعريف الحساب فى المعاملات اى علم العدود)
علم الفرائض
(حساب المواريث)
علم الاحكام النجومية
(وهو معرفة آثار أوضاع الكواكب والافلاك فى عالم الانسان)
علم الارتماج
وتعرف به مواضع الافلاك وحركاتها رياضيا

بالعلوم الشرعية، فيذكر رؤيا يوسف الصديق(٣٧)، ثم أحاديث الرسول عن الرؤيا الصالحة ، والتمييز بينها وبين أضغاث الاحلام الكاذبة .

ويجمل ابن خلدون كلامه عن تصنيفه للعلوم النقلية باشارته الى حقيقة تاريخية وهى كساد هذه العلوم فى المغرب مع رواجها فى المشرق ـ فى عصره ـ ويربط بين هذا الكساد فى المغرب وتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم . أما ازدهار العلوم الشرعية فى المشرق ، فى عصره فيرجع الى كثرة العمران والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم من الاوقاف الاسلامية التى اتسعت بها ارزاق حملة العلم (٣٨). وهنا نجد أن ابن خلدون يربط ربطا أساسيا بين العلم والحضارة ، بين ازدهار العلوم وكثرة العمران ، فلا يتقدم العلم الا حينما تزدهر الحضارة وتكثر الصنائع .

• • •

العلوم العقلية واقسامها عند ابن خلدون : ـ

واذا كانت العلوم الشرعية تختص بشعب او بدين معين ، فان العلوم العقلية تعتبر طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر « فهى اذن غير مختصة بملة بل يوجه النظر فيها لأهل الملل كلها، ويستون فى مداركها ومباحثها وهى موجودة فى النوع الانسايي منذ كان عمران الخليقة » . (٣٩)

وتسمى العلوم العقلية عند ابن خلدون باسم علوم الفلسفة والحكمة ، وهى نفس التسمية التى اشار اليها الفارابى وابن سينا ، وهى ايضا علم العقل فى مقابل علوم النقل ، وتشتمل على أربعة علوم :

اولها علم المنطق ، وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة . وفائدته تمييز الخطأ من الصواب فيما يتلمسه الناظر فى الموجودات وعوارضها ، ليقف على تحقيق الحق فى الكائنات بمنتهى فكره .

وثانيها العلم الطبيعى ، وهو يبحث فى المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعادن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التى تنبعث عنها الحركات وغير ذلك .

---

(٣٧) سورة يوسف ، آيات رقم ٤٣ ـ ٤٩ .

(٣٨) المقدمة ، ص ٣ ، ص ٩٩٤ .

(٣٩) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٨٥ .

وثالثها العلم الالهى ، وهو يبحث فى الامورالتى وراء الطبيعة من الروحانيات .

ورابعها علم التعاليم ، وهو العلم الناظـــرفى المقادير ، وهذا العلم يشتمل على اربعة علوم فرعية هى :

١ ــ علم الهندسة ، وهو ينظر فى المقاديرعلى الاطلاق وما يعرض لها ، اما من حيث ذاتهـا او من حيث نسبة بعضها الى بعض . وقد تكـونهذه المقادير منفصلة من حيث كونها معدودة ، او متصلة ، وهى اما ذو بعد واحد وهو الخط ، اوذو بعدين وهو السطح ، او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي .

٢ ــ علم الاريثما طيقا ، او علم العدد او علم الحساب ، وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذى هو العدد ،ويأخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة .

٣ ــ علم الموسيقى ، وهـو معرفـة نسب الاصوات والنغـم بعضها مـن بعض وتقديرهـا بالعدد . وثمرة هذا العلم معرفة تلاحين الغناء .

٤ ــ علم الهيئة ، وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر انواعها وتعددها لكل كوكب من السيارة، والقيام على معرفـة ذلك مـن قبـل الحركـات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ،ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها .

هذا هو مجمل عرض ابـن خلدون للعلـوم العقلية ، وهو يستطرد فى عرضها فيذكر ان هذه هى اصول العلوم الفلسفية . وبعد ان اجملها فى اربعة علوم يعود فيذكر انها سبعة (٤١) ، ذلك لانه ذكر الفروع الاربعة لعلـم التعاليم ، وقدم لهـا بالمنطق ، ثم ذكر بعدها الطبيعيات ثم الالهيات . ثم يذكر أن لكل علم من هذه العلوم فروعا تتفرع عنه ، فمن فروع الطبيعيات الطب ، ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات .ومن فروع الهيئة ، الازياج وهى قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها،ومن فروع النظر فى النجوم علم الاحكام النجومية.

١ ــ والملاحظ على تصنيف ابن خلدون انه يميز اولا بين الصنائع والعلوم . ويفهم من هـذا التمييز لاول وهلة ، ان العلوم تنطوى على مباحث عقلية ، واما الصنائع فهي تطبيقات قد تستنـد الى هذه العلوم اولا تستند اليها . ولكننا نراه بعدان تكلم فى باب الصنائع عن الطب والفلاحة وغيرهما من جملة الصنائع التى اشار اليها ، نجده يعود فيدخـل الطب والفلاحة ايضـا فى دائرة العلـوم الطبيعية ، ويسمى مبحث الطب باسم علم الطب دون ان يقدم لنا تمييزا واضحا بين صناعة الطب

---

(٤١) المقدمة ، ج ٣ ، ص ١٠٨٦ .

وعلم الطب ، بل ان التعريفات التى يضعها فى كلاالموضعين تكاد تكون متطابقة ، وهكذا الامر فيما يختص بالفلاحة كصناعة او كعلم .

٢ ـ **والامر الثانى** انه ليس هنـاك تمييزاحاسما بين العلوم الشرعية النقليـة ، والعلـوم العقلية ، بل نجد تداخلا بين بعض اقسام هـذهالعلوم ، اذ نجد فى علم الفقه فرعا يسميه باسـم علم الفرائض ، اى حساب المواريث . والفقـهانما يدخل تحت قسم العلوم النقلية ، ثم لا نلبث أن نراه يجعل علم الفرائض وعلم المعاملات مـن فروع علم الحساب ، اى من جملة علوم التعاليم .

٣ ـ كذلك نجد ابـن خلـدون لا يستوعبمباحث العلم الطبيعى باكملها ، وكذلك علم الهيئة وهو فرع من التعاليم ، اذ اننا نجده من الناحيةالاولى لا يشير الى المبحث نفسه فى دائرة العلـم الطبيعي كما فعل حكماء المشائين الاسلاميين ، ثمانه يفرد القول فى مباحث علم الكيمياء ويجعلـه قسما من اقسام العلوم السحرية وينكر ثمرتـه ،ويؤكد فساد هذا العلم وبطلانه . (٤١) ويشير الى اعظم من زاولهذه الصناعة منالمسلمين وهو جابربن حيان بانه من السحرة الذين يضيفون الـى المعادن الخصائص السحرية للاعداد ، ويتمكنونبذلك من تحويل المعادن الرخيصة الى ذهب .وهو كذلك يدخل فى باب السحر صناعة النجوم اىاصدار احكام وتنبؤات كنتيجة للزعمبان ثمة علاقة تربط النجوم والافلاك بالانسان ومصيره . (٤٢)وابن خلدون يبطل هذه الصناعة ولا يستبقى من علم الهيئة سوى رصد ودراسة حركات الكواكبوالافلاك بطريقـة علمية لا اثـر فيها للسحـر او التنجيم . وهو ما يسميه بعلم الهيئة العام . (٤٣)واستكمالا لموقف ابن خلدون من السحر والسحرة نجده يهاجم السحر والطلسمات لانهما من الامورالتى لا يقبلها الشرع .

٤ ـ وفىدائرة **العلوم العدديةاو علوم التعاليم**نجده يفرق تفريقا غير واضـح بين الاريثماطيقـا وصناعـة الحسـاب (٤٤) . ويرجع هذا التمييزغير الواضح الى انه خلط علم الحساب المجرد ، اى علم العـدد ، بصناعـة الحساب ، اى بعلـمالمعدود . وكذلك نجده فى دائرة العلوم الهندسية يخلط بين صناعة المساحة وهـى علم تطبيـقى ،والهندسة العامة وهى علم نظرى (٤٥) . ويميز بطريقة غير حاسمة بين ما يسميه بالهندسة العامةوهندسة الاشكال الكروية والمخروطات . ثم انـه يجعل علم المناظر جزءا من العلوم الهندسية التـىهى فرع للتعاليم ، اى للعلوم العددية . والواقع

---

(٤١) المقدمة ، جـ ٤ ، ص ١١٨٦ .

(٤٢) المقدمة ، جـ ٤ ، ص ١٢٠٧ .

(٤٣) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٠ ـ ص ١١٠١ .

(٤٤) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٩١ ـ ص ١٠٩٤ .

(٤٥) المقدمة ، جـ ٣ ، ص ١٠٩٧ ـ ص ١١٠٠ .

ان علم المناظر ، أى البصريات ، هو أقرب الـى العلم الطبيعى منه الى علوم التعاليم ، على الرغم من أن دراسة المناظر تحتاج الى معاونة علوم العدد والهندسة . وهذا يدل على عدم وضوح الفروق الدقيقة بين هذه العلوم عند ابن خلدون .

اساس التصنيف عند ابن خلدون :

يبدو لنا من خلال دراستنا لتصنيف العلوم عند ابن خلدون أنه قد أقام هذا التصنيف على أساس موضوعى ، اى نظرة الى موضوعات العلوم . ولكنه خلط بين الفائدة العملية فى بعض الصنائع والهدف النظرى لبعض العلوم . وعلى هذا فـان أساس التصنيف لم يتعد التمييز بين علوم تبحث فى موضوعات الشريعة ، وعلوم تبحث فى موضوعات الفلسفة والحكمة بالمعنى العام . ولـم يكن ابـن خلدون فى تقسيماته للعلوم واضحا كل الوضوح ، وملما بفروع العلوم كلها وجزئياتها مثل الفارابى ، مع ان ابن خلدون من كبار المتأخرين الذين التقت عندهم نهايات الفنون والعلوم الاسلامية فى القرن الثامن الهجرى .

• • •

خاتمـة

يتبين من هذه الدراسة لتصنيفات العلوم عند المسلمين والتى انصبت على زهاء خمسة قرون من القرن الثالث الى القرن الثامن الهجرى ، ان الفارابى كان رائدا فى هذا المجال على الرغم من سبق جابر بن حيان وغيره من المصنفين والفلاسفة . وكان الفارابى مدركا لاهمية تصنيف العلوم وصلة هذا التصنيف بالمنهج العلمى ، لان هذا البحث انما يندرج فى منطق العلوم ولا يمكن لباحث ان ينفذ بفكره فى علـوم العصر دون أن تكون لديه فكـرة تكاملية مـن الترابط الموجود بـين هذه العلـوم واشتقاقها بعضها من البعض الآخر على النحو الذى انجزه الفارابى .

ويلاحظ ان الفارابى حاول أن يرتفع بالعلوم الشرعية الى مستوى العلوم الفلسفية من حيث انه اراد أن يجعل من علم الفقه وعلم الكلام علمين عامين للملل جميعا ، ولكنه لم يحالفه التوفيق ، فى هذا الاتجاه ، فمالبث ان ربط مباحث العلوم العملية بالاخرويات ، اى بالدين ، وكذلك نجده يربط مباحث الالهيات بعلم التوحيد .. الخ .

وظلت تجربة الفارابى تسير قدما عبـر التاريخ فتلقى الخوارزمي واخوان الصفا وابن سينا وغيرهم مما اشرنا اليهم ، وقد أدلى كل منهم بدلوه فى هذا المجال ، ولكنهم جميعا علـى الطريق الذى رسمه الفارابى ، ولكننا نجد ابن خلدون فى نهاية المكان ، أى فى القـرن الثامـن

الهجرى ، وهو عصر الركود والانحلال والتأخـربالنسبة للعلم والحضارة الاسلامية بصفة عامة ، ولهـذا غلبت على العصر روح الجمع وتدوينالمصنفات الضخمة خوفا من ضياع التراث بعد هجمات التتار وغيرهم على بلاد الاسلام ، وهـذاهـو سبب حرص ابن خلدون على ان يضـمن مقدمته كل ما انتهى اليه وتوفر اليه من علـومالعصر فاودعه فى هذه المقدمة ضنا بهذا التراث ان يندثر فى عصر الظـلام ، ولهذا جـاء تمييزهللعلوم غير واضح تماما كما اشرنا ، كما نجد فيه تداخلا بين العلوم النقلية والعلوم العقلية ، ممـايشوب التصنيف بالنقص والضعف . والامـر الثانى انـه اهتم اهتماما كبيرا بتدوين العلـومالنقلية اى العلوم الشرعية وتوسع فى تصنيفها ، وهو يذكر ان هذه العلوم كانت سوقها نافقة فى بلادالمشرق وغير نافقة فى بلاد المغرب على عصره ، اما العلوم العقليـة فهي مجموعة علـوم الفلسـفةوالحكمة ، فقد كانت رائجة ، على مايقول ، عند الفرنجة فى أوروبا ، وغير نافقة فى بلاد المشرق .

والأمر الذى لاشك فيه ان ابن خلدون قداستفاد بدون شك من تجربة الفارابى فى تصنيفه للعلوم ، واضاف تصنيفا كاملا للعلوم الشرعية ،لانها كانت مدار الاهتمام فى عصره .

* * *